بدلًا من الشرف الذي خوَّلهُ الماسونية لقبولهِ بين اعضائها وهكذا انتهت هذه الرواية المضحكة التي هي أولى بمراسح المشوذين منها بنادي ناسٍ ذوي عقلٍ سليم. وانما هذا ملعب اوَّل يليهِ ملاعب اخرى في الدرجات الماسونية التابعة كما سترى (لها بقية)

الله والعقل والحياة (١

لجناب الاديب حبيب جرجس اسطفان تلميذ مدرسة الموارنة بروما

١

الله والعقل

أتراهُ يبدُو ضعيفًا ويجحَدْ مُقعَدًا أسعَى المنى يتشدَّدْ (٢
مدحوهُ واوغلُوا فحجبا أقرَّ م بَ ما يشتهيه ما كان أبعَدْ
يدَّعي مِسمًا الى كبدِ الأر ضِ ولحظًا الى ذُرَى العرش يصعَدْ
وذكاءً يُدنيهِ من أزَلِ الدهر م ويُدنِي اليهِ مستقبلَ الغدْ
ربِّ اني خبرتُ نفسي طويلًا فإذا كلُّ ما رأيتُ مُحدَّدْ
فلِمَ العقلُ وحدهُ يدَّعي أن ليس حدٌّ بهِ قُواهُ تُقيَّدْ
كيف يثوي جسمًا اذا قيس لم يخرَ م ج بهِ إصبعٌ وليس لهُ حدْ (٣

---

١) أقدمنا على افراغ هذه الحقائق الفلسفيَّة في قالب شعري وان أدَّانا الى الاكتفاء بكلمة في ما تضيق عن بعضهِ ضخام المجلَّدات لأنَّنا لم نجد بين ابناء النهضة العربيَّة مَن عُني بتقريب الفلسفة الى اذهان قومهم فسهَّل عليهم اتباع الكاتب في مقالة طويلة لا يحلُّ فيها الَّا للبراهين العقليَّة ولم يزل الشعر تُلبس فيهِ الحقيقة ثوبًا يوثنيهِ الخيال ويطرِّزهُ وصفُ مشهدٍ تبصرهُ العين او عاطفة تصيح في القلب أدْنى عندنا الى الافهام. وبعد فانَّ اتباعنا هذه الخطَّة في النظم او العدول الى مقالات نثريَّة متوقَّف على ما يكون من حكم الادباء في قصيدتنا هذه . . . وقد اجتنبنا وضع الفاظ جديدة حيث مست الحاجة لانَّ لنا رأيًا في ايجادها لا بدَّ من تفنيدهِ وسنبديهِ قريبًا ان شاء الله

٢) الكلام في العقل ينكر من ضعفه ما بدا واتَّضح لِمَا افاض فريق في مدح قواهُ حتى صار عندهم الحَكَم الوحيد لا حقيقة الَّا ما كان لهُ ظاهرًا وما لا يصل اليهِ محال وخرق فأنكروا من ثَمَّ الوحي لأنَّهُ ليس في الحقائق ما لا يتهيَّأ اليهِ العقل فيحتاج الى موحٍ

٣) ليس من العجب ان روحًا مجرَّدًا عن الميولي يحرِّك جسمًا يُقاس بالاصبع كجسمنا ولكنَّ العجب في ان يكون ذاك الروح مقيَّدًا بهذا الجسم على صغرهِ كما ترى في العقل

أهوَ عني بالذاتِ والكونِ مفصو ... لٌ يمسُّ الورى ولا يتمـدَّدْ (١
قَبَسٌ ما أضـاء للعينِ لولا م الشمسُ في مشرقِ العُلى تتوقّدْ
موجةٌ لا تلاطِمُ السيفَ لو لم ... يكن اليمُّ قـد أردَّ وأزبدْ (٢
لا فعقلي أراهُ فيَّ ومني ... لا تزيلًا عندي يُعالُ (٣ ويُرقدْ
لا يعمُّ الأنامَ مثلي خصيصًا ... واحدًا منفردًا كما أنا مُفرَدْ
ذاكَ زعمٌ به أتانا ابنُ رشدٍ ... وابنُ رشدٍ بزعمهِ لم يَرشَـدْ
أمِ جميعُ الأشياءِ بالذاتِ فردٌ ... لستَ عنهُ بمزلٍ او بمُبعَـدْ (٤
ذاتُها أنت وهي أفلاذُ ذاتٍ ... لكَ في مُفسِحِ الفضاءِ تمدَّدْ (٥
أنت كالعينِ وهي كالماءِ يجري ... انت كالشمسِ وهي نورُكَ يمتدْ
انت كالكهرباءِ تخفى وتبـدو ... هي كالبرقِ والرعودِ وتُشهَدْ (٦
جَهلتْ أنهـا الإلهُ وخُصَّ م العقلُ بالعلمِ بينهـا وتفرَّدْ (٧
ربِّ حاشاكَ ان ينالكَ وصفًا ... ما الى هذه الزوائلِ يُستَدْ
لا يزالُ الحؤولُ يعملُ فيها ... كلُّ رسمٍ أثبتُّهـا فيهِ مُفسَدْ (٨

---

١) ذهب ابن رشد احد فلاسفة العرب الى ان العقل الذي يدعوهُ ارسطو العقل المنفصل مفصولٌ عن الجسد كيانًا متحدٌ به اتحاد الصورة بمادتها اتحادًا عرضيًّا وهو واحد في كل الناس. ولهذا الكلام نتائج فلسفيَّة ودينيَّة عظيمة الاهميَّة نضرب عنها صفحًا الآن ولا يعني ان العقل ان كان واحدًا للبشر كلهم جاز لهُ ان يدَّعي بنوع ما انَّ لا حدَّ لهُ وان كان بعدُ أقصر من ان يبلغ اللانهاية

٢) البيتان لايضاح نسبة عقل الافراد الى العقل العامّ فانهُ العقل واحد كالشمس ولكلّ منهُ قبَس يستنير بهِ أو كالبحر ولكلّ جزء من الشاطئ موجة تلاطمه — السيف شاطئ البحر. وأردَّ البحر هاج وكثرت امواجه

٣) عالهُ كفاهُ معاشهُ ومؤنهُ

٤) لا يتسع لنا المجال هنا لذكر المذاهب العديدة التي بدت في اعصر مختلفة تُنكر البتَّة ارتفع من هذا العالم خلقهُ وكوَّنهُ وهي ترى الله والعالم واحدًا ولا بدع ان ادَّعى اذ ذاك العقل ان لا حدَّ يقيِّده وانهُ هو الله او جزء منهُ

٥) تمدَّد تتمدَّد

٦) ليس من يجهل ان البرق والرعد مصدرهما الكهرباء

٧) الضمير في « جَهلتْ » لهذه الاشياء المادِّيَّة فانَّها من نفسها ما عرف العقل من نفسهِ

٨) لا تريد بالرسم هنا ما في العقل من تصوّرات ذوات هذه الاشياء فان الذوات على ما

هي تُطوى مثل الرداء وتَبلى هي كالنهار يومَ ريحٍ تبدَّدْ
انت ما فيك حدَثٌ وقديمٌ باقيًا انتَ انت لا تتجدَّدْ
ربِّ انت الوُجودُ لا عَدَمٌ فيهِ لا ولا أمسِ بل حضورٌ مؤبَّدْ (١
قد سألتُ الخشاش (٢ عنك وما في باطنِ الأرضِ من ترابٍ وجلمَدْ
وسألتُ النباتَ يسكرهُ الطلْ م فيثوي على الصعيد مُوسَّدْ
وسألتُ الوهادَ يبكي بها الماء م سماءً فيها سحابًا تلبَّدْ
وسألتُ الزهورَ تبسم عن صا في عقيقٍ وفضَّةٍ وزبرجدْ
وسألتُ الاطوادَ مستودَعَ الحكمة م من اقدمِ العهود وأرشَدْ (٣
وسألتُ الاطيارَ تاقي بأذنٍ م الغصن سحرًا لرقصهِ يتميَّدْ
وسألتُ البحار تقذفُ بالأموا م جِ منقضَّةً تشقُّ الصاردَدْ (٤
وسألتُ الشمسَ المنيرة أمْ م الحصب تحيي الممات تُذكي المُجمَّدْ
وسألتُ البدرَ الحزين اليف م الصمت سهرانَ والخلائقُ هُمَّدْ
وسألتُ الثواقبَ الزُهر تسري سابحاتٍ ما بين مثنًى ومَوحدْ
كلٌّ هذي سألتُ عنكَ فقالت إرْقَ عنَّا لسنا إلهك واصمدْ (٥
نحنُ خلقٌ من بعد ان لم نكن او جَدْنا وهو حافظٌ ما اوجدْ
هو ادنى منَّا الينا وعنَّا لستُ الكائناتِ ذاتًا وابعَدْ (٦
مالئُ الكونِ حاويًا غيرَ محويٍّ م تعالى عن أن يُضمَّ ويُحشَدْ (٧

في النقل لا تتغيّر ولكنّنا نريد رسمها كما هي خارج النقل مع اعراضها كالرسم الفوتوغرافي مثلًا

١) الفرق بين الابد والزمان ان الاوّل حضور دائم ثابت والثاني لا ثبوت لهُ

٢) الخشاش حشرات الأرض

٣) قلت ان اقدم العهود ارشدها لأنَّهُ زمان كان آدم في فردوسِ جنتهِ والله يرشده ويهديهِ ولبس وصفنا هنا فلسفيًا

٤) الصلّود الصخر الصلب

٥) معنى هذه الابيات مقتبس من القديس اوغسطينوس: (Confess., Lib. X, c. VI)

٦) الله قريب من كل شيءٍ فهو في كل مكان حافظ كل ما خلق غير أنَّهُ ذاتيًا ابعد الكائنات عن هذا العالم الذي نراهُ فهذا متغيّر وهو لا يتغيّر هذا حادث وهو لازم الوجود الخ

٧) قلت ان الله موجود في كل مكان ولكنَّهُ غير محويٍّ في ما وُجد فيهِ والّا لزم ان يكون

ولهذا أنّى التفتُ ارى أنّكَ م في كل ما أُشاهدُ توجدْ
ربِّ اني شهدتُ أنّك في الما لم لا ذاتهُ وما زلتُ اشهدْ (١
ربِّ ماذا إذن أهابَ (٢ بهذا م العقل حتى اتى بما لا يؤيّدْ
ربِّ رحماكَ انهم أفسدوهُ م ولكمْ اعجبَ المديحُ فأفسدْ (٣
ربِّ لستَ المقيمَ للعقل عذرًا لن يكن ضلّهُ المديحُ وشرّدْ
انهُ ربِّ خادعٌ نفسهُ ليس م حقيقًا بان يُحامَى ويُنجَدْ (٤
عذرهُ ضعفهُ ويكفيهِ ذلاً يدّعي قوّةً وبالضعف يُعتَدْ
ليتهُ يسمع الذي أنا أرويهِ م فيدري ان قد طغا وتزيّدْ (٥
انا اروي لهُ واصدقُ كم قا لَ بوصف الحيوةِ قولًا مُفنّدْ
علّهُ يترك الذي فوقهُ إن كان في ما من دونهِ لا يُسدّدْ

٢

الحيوة

أبنتَ الهديل عدّتكِ البدَى أنوحًا سجعتِ الضحَى ام بغا (٦
أشاقكِ زيحُ الصباح لثامَ م الدُجى شجاكِ الفٌ نأى
اذا كان ذاكِ فشدْوكِ نوحٌ ونَوْحكِ شدْوٌ اذا كانَ ذا (٧
مسستِ الفؤادَ ولم تفصحي فهجتِ وأغريتني بالبُكا

محصورًا محدودًا ومن كلام للقديس اوغسطينوس مخاطبًا النزّة الالهيّة « أم لا تحتاج حاويًا الكلّ ان يحويك شيءٌ لأنّ ما قلاّهُ قلاّهُ حاويًا اياه » (Confess., Lib. I. c. III)

١) لأنّ الله كما تقدّم موجود في كل مكان بعيد ذاتًا عن كلّ شيء

٢) أهابَ الراعي بغنمهِ صاح بها وهو هنا بمعنى دفع وحدا

٣) أفسدَ العقلَ من اقامهُ الحكمَ الفرد في كل حقيقة

٤) لئن مدح قوم العقل فانما هم بمقامهم مدحوهُ فكان العقل مصدر ضلال لنفسهِ

٥) طغا جاوز القدر والحدّ . وتزيّد الرجل في حديثهِ زاد فيهِ ما ليس منهُ

٦) المراد ببنت الهديل الحمامة لانّ الهديل صوتها كما قال المرّيّ :

أبنات الهديل أسعدنَ أو عد نَ قليل الغزاء بالإسعاد

وعدّتكِ الدى اي جاوزتك وتعوّلت عنكِ

٧) لأني لا افهمها ولا أميّز بين نَوْحها وشدْوها فكلاهما لي واحد

اذا ملك القلبَ شأنٌ يردُّ اليهِ جميعَ الشؤونِ الفتى
وقد تشتكينَ الذي أشتكي وِدادًا قديمًا وعهدًا خلا
وقد ترتجينَ الذي أرتجي ولكنَّهُ عودُ ما قد مضى
بكيتُ لسجعكِ يا بنتَ الهديلِ ولم يُبكني صدعُ صَلدِ الصفا
لأنَّكِ يفريكِ بُعدُ الأليفِ وذا لا يحسُّ اذا ما افترى
وزانتكِ انت حُلى للحيوة وذا عُطلٌ لم تزنهُ الحلى
وفيَّ جميع الذي فيكِ منها وان كنتُ أرفعَ منكِ بها (١
ولولا حياتُكِ لم تسجعي ولولا حياتي لم أُبتلى
فما هيَ هذي الحياةُ التي سجعتِ بها فأثرتِ الشجا
يقولونَ ما في الحياةِ جديدٌ وانَّ جمادًا وحيًّا سوا
وما غيَّرَ الماءَ بالذاتِ أنْ ثوى جَمَدًا في الذُرى او جرى (٢
ولا غيَّرَ الصوتَ معناهُ أنْ رماهُ امرؤٌ او رماهُ صدى
ذرّاتٌ تحرّكُ ليس الحيو ةُ إلّا نتاجَ انضمامِ الذُرا (٣
فكوّن منها نباتُ الرهادِ وكوّن منها زهورُ الرُبى
وكوّن منها سجينُ البحار وكوّن منها طليقُ الفضا
وكوّن منها الكيانُ الصغير امير الخلائق مولى الحجا (٤
اذا لم يكن كافيًا للحيوة م الحراكُ فتنجده الكهربا (٥

---

١) الضمير في «منها» للحيوة وهي في الانسان تشمل ما في النبت والحيوان وتزيد عليهِ العقل

٢) يزعمون أن لا فرق بين المادّة ساكنةً في الجماد او مستمرّة الحركة في الحيّ كما انهُ لا فرقاً جوهريًا بين الماء سائلًا في الوهاد او جامدًا في الجبال

٣) يدّعون ان ليس في العالم الّا ذرّات تتحرّك تختلف الاجسام باختلاف انضمامها الى بعضها ومنها كوّن كلُّ ما نراهُ من جماد وحيّ

٤) الكيان الصغير الانسان المدعوّ عالمًا صغيرًا وهو حقيق بهذا الاسم لسببين امّا اوّلًا فلأنهُ جامع صفات كل الكائنات ففيهِ ما في الجماد وما في النبات وما في الحيوان وفيهِ ما في الارواح العليا . واما ثانيًا فلأن الاشياء ترتسم في عقلهِ كأنهُ ضمّها الى نفسه

٥) هذا فريق آخر رأى ان الحركة والذرّات لا تكفي لإبداء الحيوة ففزع الى الكهرباء والحرارة وما ظهر من قوى الجماد وما لم يزل خفيًا مما لم تمتد يدُ اليهِ

وما في الجمادِ من الظاهراتِ وما فيهِ من غامضاتِ القوى
فيُعرَفُ اذ ذاكَ كنهُ الحيوة ويُكشَفُ عمَّا تُسِرُّ الغطا
إلهيَ سبحانكَ القولُ هذا وتشهدُ لي قولُ من قد غوَى (١
ألَمْ تحوِ ما سجعَتْ فبكيتُ سوى ما أضمَّ الصخور حوَى (٢
اذا الزهرُ طفلُ الجمالِ ابتسا م الرياضِ النواضرِ تجلى بها
تتوقُ السماءُ الى عطرهِ فتبتاعُ بالدرِّ منهُ الشذا (٣
ولا تُمكِنُ الشمسُ من ان تراهُ اذا لم تجُدْ بعميمِ الضيا
وليس تنالُ الصَّبا لثمَهُ اذا لم تلاعبهُ كفُّ الصبا
شبيهٌ بما حولهُ من ترابٍ يُداسُ ولا عطرَ فيهِ ولا . . .
اذا الحملُ القاقدُ الامِّ يعدو ويقفزُ مختلجاً كالظبا
كأنَّ برجليهِ مطَّاطةً اذا لمس الارضَ حالَا ترا (٤
يخدُّ القطيعَ هنا وهنا لا يميلُ بفيهِ طريٌّ انكلا (٥
فأيَّ مضيقٍ رآهُ أتاهْ وايَّ حَلوبٍ رآهـا ثنا (٦
وتسمعُهُ الامُّ يثغو فتثغو وتعدو اليهِ تغُذُّ الخُطى (٧
وترأمهُ حين يدنو فيهوي على الضرعِ يمتصُّ درًّا حلا (٨
يشابهُ في فعلهِ الصغرَ يجهلُ م معنى القراحِ ومعنى اللذا
اذا الابُ يرجع عند المسا من الشغلِ قاسي جليلِ العنا
قضى اليومَ حرثًا وزرعًا ليحيى بما هو يحييهِ بعـد الردى (٩

---

١) غوى ضلَّ . وجملة « وتشهد لي » معترضة بين المبتدأ والخبر
٢) ما الـم موصول يراد بهِ الحمامة المذكورة في اوَّل القصيدة
٣) المراد بالدرِّ هنا الندى
٤) ترا وثب وقفز ٥) الكلاُ الشب
٦) الحَلوب الشاة تُحلب . وثَنَا صاح وصوَّت
٧) غذَّ السيرَ أسرع
٨) ترأمهُ تعطف عليهِ . والدَّر اللبن
٩) قد يكون الانسان بعد موتهِ حيوةً لما كان حيوتهُ وذلك اذا عاد جسمهُ ثرًى فألفت فيهِ الحبوب فعاشت بهِ وقد كان يحيى بها

يرى زوجهُ وقفتْ بانتظا ... رهِ تحمل الطفلَ ضاني السَّنا
فيُلقي الأداةَ ويَبقي بعيدًا ... وكلُّ عناء النهار انقضى
يمدُّ يديهِ ويدعو الصغيرَ ... وهذا اذا ما دعاهُ زَقى (١
وصفَّقَ يبسمُ عن لؤلؤ ... نثيرٍ ونحوَ ابيهِ هوى
يَودُّ الوصولَ اليهِ ولكنَّهُ م ... بعدُ واهي القُوى ما مشى
وقد وقفَ الأبُ عنهُ بعيدًا ... ليبصرَهُ ماشيًا لا جفا
فتسكنهُ أمُّهُ باليدينِ ... فيقبل نحو الأبِ الخيزلى (٢
فيرفعهُ حينَ يدنو اليهِ ... كأنَّ الوليدَ نسيمٌ دنا
يُقبّلهُ وهو يلطمُ لحيًا ... لناعمِ خديهِ منهُ أذى
يمدُّ بهِ ساعديهِ فيَرقى ... وتضربُ منهُ اليدانِ الهوا
وتبسم للمشهدِ الامُّ كلٌّ م ... السعادةِ بابنٍ وزوجٍ ترى
يُماثلُ مع عرسهِ وابنهِ ... بما اظهروهُ سكوتَ الحصى
لعمريَ بين جمادٍ وحيٍّ ... من الفرق ما لا ينالُ الحِفا
فأصلُ الجمادِ ذراتٌ تحللُها م ... او تُركيبها الكيميا (٣
ولستَ ترى جسدًا ذا حيوةٍ ... اذا لم يكن من حيوةٍ نشا
وهذا الجمادُ اذا ما تبلوَ م ... رَ هندسةً وقياساً رعى (٤

---

١) زَقى صاح

٢) الخيزلى مشية فيها تثاقل وتفكك

٣) بعد ان قال ان بين الجماد والحيّ فرقًا واضحًا لا يُحجب شرع بتفصيل هذا الفرق فذكر اوّلا ما كان منهُ بين اصل الجماد واصل الحيّ فالاوّل يبدو بتحليل كيماوي والثاني لا يبدو الّا اذا أُنتجهُ حيّ مثلهُ

٤) يقال تَبلور الجماد اذا حصلت لهُ صورة وهيئة هندسيّة بانتقالهِ بطيئًا من كونهِ غازًا او مائلًا الى كونهِ جامدًا ولكلّ جسم صورة خاصّة بهِ اذا تبلورَ تفصلهُ عن غيرهِ. وقد رأى البعض في ذلك قربًا بينَ الجماد والحي لان لكليهما هيئة وصورة خاصّة الّا اننّا نرى ثمّ ما يفرقهما لا ما يقرّبهما لانَّ الجماد اذا تبلور رُوعيت فيهِ الاقيسة الهندسيّة وكان في تركيبهِ وصورته من البساطة ما يدلّ على الموت والسكون وهذا الحيّ يتركّب ولا قياس هندسي يحفظهُ بل تحفظهُ قوّة يدلّ على وجودها ما فيهِ من ميل في الخطوط وتعقيد في التركيب ولو ان تلك القوّة ليست فيهِ لَماجلّهُ الاضمحلال

وذا الحيُّ مالَت بتركيبهِ م الخطوطُ ودونَ قياسٍ جرى
كثيرُ الضميم مثالَ الوفاقِ عديمُ النظام نظاماً غدا (١
ترى كلَّ ما فيهِ يسعى لخيرِ م العموم ودفع الأذى أينما . .
وتمضي عليهِ القرونُ وكلُّ قريبُ الوجودِ كنائي الفنا (٢
اذا لم يَحِلْ بالجمادِ غريبٌ على حالهِ ظلَّ طول المدى
وذا الحيُّ ليس يلاقي سكوناً فإمَّا استقرَّ فذاك الثَّرى (٣
يحرِّكهُ ليس ينبي نفسهُ زماناً اذا ما تقضَّى قضى (٤
جنينٌ فطفلٌ فيَفَعٌ فيَضفُ فكهلٌ فشيخٌ فبعضُ الثرى (٥
وهذا الجمادُ اذا ما غدا بضمِّ غريبٍ اليهِ غدا
وما الحيُّ ينمو بضمٍّ ولكن بفعلٍ يحيلُ اليهِ الغذا (٦
فان يكن الحقَّ ما يدَّعون وأين من الحقِّ ما يُدَّعى
فهذي الحرارةُ والكهرباء وهذا الحراكُ وباقي القوى (٧
ليُبدوا الحيوةَ بتأليفها فتتركَ ما كان يبدو لنا

---

١) يضمّ الحي من الذرات عدداً لا يُحصى بيد انهُ مثال الوفاق كما يبيّن البيت التالي وقد قيل في البيت السابق ان الحي جرى دون قياس فهو من ثمَّ عديم النظام غير انهُ رغماً من ذلك نظام وقياس اوّلاً بما فيهِ من الاتّفاق بين اجزائهِ وثانياً بحفظ صورتهِ في كل افرادهِ فهي قياس لها

٢) تمرّ القرون وكلّ مولود من الحي جديد يماثل ما في من زمن بعيد من ذلك الجنس ومن هنا يتّضح انَّ في الحيّ قياساً

٣) ليس الجماد ان يعمل مؤثراً في نفسهِ فاذا صُرف عنهُ ما يحيل بهِ عن حالتهِ بقي عليها أبداً والحيُّ بعكس ذلك ليس بلاقٍ سكوناً فإن في سكونهِ هلاكهُ وفناءهُ . والثرى الهلاك

٤) قيل ان الحي ليس يلاقي سكوناً ولكنَّ حركتهُ المستمرّة ليست من الخارج بل من داخلهِ وهذا اعظم فرق بين الجماد والحي الجماد لا يعمل الّا في غيرهِ والحيّ يعمل في نفسهِ الى امد لا بدَّ بعدهُ من ان يموت . وكلامنا هنا في الحيوة الباقيَّة والحسنة فقط

٥) ما ذُكر في هذا البيت من تفصيل حيوة الانسان يُطلق على كل حي

٦) ينمو الجماد ويزيد بضمّ غريب عنهُ يظلّ عنهُ غريباً ذاتاً وان قُرن اليه والحيّ ينمو بان يُحيل اليهِ غذاءهُ ويجعلهُ بعض ذاتهِ . وانَّ بين الجماد والحيّ فروقاً اخرى وفي ما ذكرناه كفاية

٧) ذُكر الحراك بين القوى مجاراةً للخصوم والّا فحركة الانتقال ليست قوّة بل نتيجة قبل قوّة

يقولون هذا لنا لا يتمّ ولكنّه تمّ في ما مضى
بوقتٍ به الظهور الحيوة على الارض أكمل ما يُقتضى
وسوف يُنالُ اذا ما بلغنا من العلم بعض الذي يُرتجى
ألا ما مضى ليس فيه دليلٌ وما سيجيءُ فسوف ترى .
وقد يزعمُ البعضُ انّ الحيوة اتت ارضنا من اراضي السما
جراثيمُ قد برحت دارها تطوفُ القضاء فحلّت هنا
او انّ النيازك جاءت بها فلاقت على الارض كلّ احتفا
فعاشت تنقّلُ من حالةٍ الى حالةٍ من كيانٍ إلى . . .
نباتٌ بلا حاسّةٍ حيوانٌ لطيفُ الحواسِ امروءٌ ذو نُهى
وقد يدّعي البعضُ ان لم يكن على ارضنا للحيوة ابتدا
فمن ازلِ الدهر باتت عليها وكانت لظىً حين كانت لظى (١
فلِمْ هذه الضحكاتُ وهذا التمخّل في قولهم والمِرا
ألا كلُّ ذا لكفاه الاله عن الكونِ إن هو منهُ دنا (٢
فبي يا سماءُ ويا ارضُ سمعاً ويا بحرُ مَهْ وانصتي يا ذُرى (٣

١) اعجب لهذا الانسان اذا حيل بينهُ وبين الوصول الى الحقيقة او لم يشأ الاقرار بها ظاهرة لامع في النفس أسرع الى ابعادها عنهُ كأنّهُ بذلك بلغ واحة العقل وأحال عنهُ عناءها وانت ترى ان هؤلاء لمّا لم يتمكّنوا من ايجاد الحياة بتركيب الجماد لجأ بعضهم الى زمن ماضٍ قديم ونظر البعض الى الكواكب فرأى فيها مصدر الحياة ومقرّها ودعاها اراضي السماء كأنّهُ لم يبقَ مجال للبحث في كيفيّة نشوء الحياة هناك فضلًا عن استحالة وصول الجراثيم حيّة الى ارضنا لانّ اشعّة الشمس تبيّتها في الطريق . وقد رأى هذا المحال بعض فقالوا انّ الحياة أتت ارضنا بها النيازك وهي هذه الحجارة التي تتساقط من السماء . ومن العجب ان يقول هذا من يعرف شدّة الحرارة التي تحرق هذه النيازك بمرورها في الهواء وسقوطها على الارض . وقد رأى صحّة كل هذه براير (Preyer) فزعم ان الحيوة لم تبتدئ على الارض وأنّها كانت عليها منذ الازل واذا قلت ان الارض كانت قبلًا كرةً نارّيّة اجابك : كانت الحيوة نارًا حتى اذا بردت الارض تنوّرت الحيوة . وفي هذا منتهى التحكّم والتمثّل وهو حطّة بقدر الفلاسفة

٢) لقد أتى المنصوم بكل ما ذُكر للتخلّص من تداخل الله في شؤون العالم وايجاد الحيوة بقوّته . وكفاهُ من الشيء صرفهُ وصدّه

٣) نصت استمع للحديث

أيبتدعُ اللهُ هذا الوجودَ فيُضحي الوجودُ عليهِ جَمى
إلهي لكَ الكونُ اجمع ملكٌ فتفعلُ في ما حوى ما تشا
فإنْ يَزِنِ الأرضَ نورُ الحياةِ فإنَّكَ مصدرُ ذاكَ الضيا
وان يمشِ الارضَ منها النسيمُ فليس لهُ من سواكَ نشاً (١
حبوتَ بها الارضَ لمَّا الزمانُ الذي كنتَ حدَّدتَ قبلاً أتى
فأخرجتِ الارضُ نبتاً فزهرًا أجلُّ طرازٍ لابهى رِدا
فطافَ بانواعهِ الحيوانُ م القفارَ وخدَّ (٢ هواء وما
فصاغَ لكَ الشكرَ نورٌ زها وصاغَ لكَ الشكرَ طيرٌ شدا
ولا شكرَ ثمَّ لأنَّ ليس عا قلٌ ما افضتَ عليهِ دَرى
ولا روحَ في النبت والحيوا نِ سهما ادَّعى غيرُنا وارتأى
فليس بافعالهما من دليلٍ يُبينُ أنَّ الروحُ فيها ثوى (٣
ولكنَّها صوَرٌ قد رمقتَ اليها موادَّ أعددتَ لها (٤
الى ان ختمتَ بآدم ما بقولكِ كُنْ في الكيانِ بدا

---

١) النشاء مصدر نشأ ٢) خدّ شقّ

٣) ذهب البعض الى ان في النبت والحيوان نفساً روحية. وهولاء ايضاً يجزل من الحقّ فان افعال النبات والحيوان كلها ماديّة ولو كان ثمّ روح لظهر فعل يُنسب اليها. وغريب انّ هولاء يبدأون مساً بدأ منهُ من قال أن لا فرق بين الحيّ والجماد وان اختلفت النتيجة كل الاختلاف فان كلا الفريقين يزعم ان ليس في المادّة الّا قوى طبيعيّة وكيماويّة ردَّ اليها البعض قوى الحيوة وهذا هو الفريق الذي لا يرى فرقاً بين الجماد والحيّ. واقصاهما هنا الفريق الثاني ولمّا لم يجد وسيطاً بين المادّة والروح قال ان في النبت والحيوان روحاً. ولا يصحّ ان يُنسب الشكر الى النبت والحيوان فإنَّهُ يقتضي معرفة الطيّبة والمطلق وليس ثمَّ عقل تحصل بهِ هذه المعرفة

٤) لا يشجم عن انكارنا وجود الروح في النبت والحيوان أنّنا لا نجد فرقاً بينهما و بين الجماد ذاتياً فنحن نرى ان كلّ جسم مركّب من مادّة وصورة وكلتاهما من ذاته. فالمادّة وهي ما يُدعى المادّة الاولى او الهيولي لا صورة لها بنفسها ولا يمكنها ان توجد بدون ان تتّحد بالصورة والصورة ايضاً لا توجد الّا اذا اتّحدت بالمادّة فهما ملازمتان وان بعض الصور ارقى من بعض فترتقي المادة من أدناها الى اعلاها وليس نفس النبات والحيوان الّا من هذه الصور. امّا نفس الانسان الروحيّة فانّها تبلغ ارقى ما يمكنها الوصول اليهِ بتجرّدها من المادّة وان كانت مرتبطة بالجسم الهيولي

قرنتَ بهِ مادةً معَ روحٍ فتمَّ لضدَّين فيهِ إتحـا
فذا الحيُّ لا ما ادَّعوا والحيا ةُ فعلٌ بهِ لازمٌ لا سوى
وهذي مراتبُهـا في المرادْ وهذا نشوءٌ وهذا ارتقا
وهذا هو الحقُّ مَن يلتمسْ بهِ بدلًا فهو منـهُ برَا
وَرِثناه نحفظُـهُ ثمَّ نُورِ ثهُ ليس يقربُ منهُ البلى (١
ونشكرُ مَن قد هدانا الصراط م القديمَ فنهْ مفاضُ الهُدَى
وإمَّا شكرنا فشكرٌ عليهِ درَى الفضلَ منهُ وغُرَّ اللُّهَى
الهي لك الحمد هذا الكيانَ برأتَ ولم تتركنهُ سُدى
وانت الحيوة ومنك الحيوة وكلُّ كمالٍ اليك انتمى
ومنك اليهـا ابتداء الوجودِ ومنَّا اليك بهِ الانتهـا

*

ربِّ عفوًا فقد بدى الحقُّ للعقـ ـلِ صريحًا ولن يعودَ فيُجحَدْ
ايها العقل ان حصرتَ عن الحـ ـقِّ فبادر الى الهكَ تُنجَدْ (٢

---

١) من المضحكات ان امين افندي الريحاني في مقالتهِ « بين العلماء واللاهوتيين » في البرق عدد ٦١ يدعي ان « فرائص الاكليروس ارتعدت عند اول ظهور عقيدة النشوْ والارتقاء » فأحيلُ امين افندي على تاريخ الفلسفة في النصف الثاني من القرن الماضي ولو كان عندي الامين بحيث يراهُ غيري لأحلتهُ على ذاكرتهِ فيري ثمَّ مؤلفاتٍ تكاد لا تحصى لفلاسفة الكنيسة (كذا) يثبتون فيها ما ورثوهُ من الحقائق (امين افندي يدعوها اعتقادات !) لا يحابون دوريين او سواه ولن يخشى سيف الحقيقة من الباطل انثلامًا. ومن الغريب ان الامين بعد ان ذكر ارتعاد فرائص الاكليروس عند اوَّل ظهور عقيدة النشوْ والارتقاء لم يذكر ابتهاجهم وقد « اخذت الآن عقيدة النشوْ والترقي بالتغيّر. والترقي وترقيها هذه المرَّة الى اسفل لا الى أعلى » فكافي بهِ ينكر على الاكليروس حقَّ امتلاك البشاشة وهي من « جواهر الحيوة الثلاث الثمينات » أو يخاف من ابتهاجهم على بشاشته فانهم انَّما يبتهجون بالحقيقة ومن الناس من تذهب الحقيقة ببشاشتهِ

واغرب من هذا ان الامين ينكر على العقل ان يبحث في الحقيقة وفي اصل الانسان ومصيرهِ ويدعوهُ الى اجتناب تنازع العلماء واللاهوتيين وهو بعد هـذا يريد من الانسان ان يحافظ على عقلهِ. فكيف يكون هذا يا امين افندي تُفقدنا العقل وتريد منَّا ان نحافظ عليهِ ؟ هذا مثل من يثقب اسفل الجرَّة ليحفظ ماءها. ألا ابن من الفلسفة من يَرى العاقل من لا عقـل لهُ ولولا ظني بالامين انَّهُ فطن لبيب لخشيتُ ان يكون قولهُ هذا نتيجة اختياره نفسهُ وصاحب البيت أدرى

٢) حصِرَ عن الشيْ تعذَّر عليهِ الوصول اليهِ

ايها الناس لا تضأوا فإنَّ م الكونَ للواحد المكوَّن يشهدْ
واعبدوا الله واتقوه فمن بعد م حيوةِ الفنا حيوةٌ تخلَّدْ

اولياء الله في لبنان

نظرٌ تاريخي للاب لويس شيخو اليسوعي (تابع)

ب

﴿ باخوس ﴾ هو القديس الشهيد باخوس رفيق القديس سرجيوس او سركيس واللبنانيون يكرمونهما كليهما معاً فنذكرهُ مع القديس سرجيوس في محلِّهِ

﴿ باسيليوس ﴾ هو القديس باسيليوس الكبير اسقف قيسارية في بلاد قبادوقية ومنشئ الحياة الرهبانيَّة في انحاء آسيا الصغرى. ولد سنة ٣١٦ للمسيح من أسرة صالحة تُكرم الكنيسةُ معظمَ افرادها لقداستهم وبعد ان درس العلوم الثانية في زمانهِ على اشهر المعلمين في القسطنطينيَّة وأثينا عدل الى العلوم الدينيَّة وجحد العالم واباطيلهُ واخذ مبادئ العيشة الرهبانيَّة من سيَّاح مصر في الصعيد ثم عاد الى وطنهِ ونشر في بلادهِ النسك والزهد فحوَّل القفار الى اديرة زاهرة بالفضائل. ولما دُعي بالرغم منهُ الى ادارة كنيسة وطنهِ صار قدوةً لكل اساقفة زمانهِ بما ابداهُ في منصبهِ من الفضل العميم. ولم يخفَ ان يعارض الملوك انفسهم للمدافعة عن حقوق الكنيسة فقاسى من الاريوسيين ومن الملك والفرس اشدَّ الاضطهادات لكنَّهُ انتصر منهم جميعاً وبقي في ادارة شؤون كنيستهِ الى سنة وفاتهِ في ١ ك ١ من السنة ٣٧٩. وعيدهُ في الكنيسة الشرقيَّة في ذلك اليوم مع القديس غريغوريوس النزيزي. اما الكنيسة اللاتينيَّة فتعيّد لهُ في ١٤ حزيران يوم ارتقائهِ الى المنصب الاسقفي. واللبنانيُّون لاسيما الروم منهم والرهبان يكرمونهُ وقانونهُ شائع بين الرهبان الملكيين. تجد ترجمتهُ في اعمال القديسين للبولنديين في ١٤ حزيران. اطلب ايضاً مكتبة القديسين اللاتينية (BHL 153) واليونانية (BHG, 37) والشرقية (BHO, 40)

﴿ بطرس الرسول ﴾ هو القديس بطرس عامة الرُّسل وناتب السيد المسيح في تدبير كنيستهِ جمعاء الذي استشهد في رومية مع القديس بولس الاناء المصطفى على عهد نيرون الملك المغتصب سنة ٦٨ للميلاد بعد ان ساس الكرسي الانطاكي سبع سنوات